استغلال عنف المتمردين في أفغانستان

المقدم توماس برونز، الجيش الأمريكي

بعد مرور أكثر من سبع سنوات على انتزاع أفغانستان من قبضة طالبان، لا يزال النصر صعب المنال. فقد أُجبرت طالبان والقاعدة ومجموعة من الشخصيات البغيضة على الاختفاء، وعُقدت انتخابات ناجحة - ومن المحتمل أن يتكرر الإنجاز سريعاً - وتوجد حكومة أفغانية تؤدي مهامها ولو بطريقة اسمية. ومن الناحية التكتيكية، يشكل المتمردون تهديداً قليلاً على قوة المساعدة الأمنية الدولية (الإيساف) أو قوات الائتلاف (بخلاف الإيساف) أو الجيش الوطني الأفغاني. كما حققت البنية التحتية والاقتصاد الأفغاني تقدماً هائلاً بعد ثلاثة عقود من الحرب شبه المستمرة.

ورغم النجاحات التكتيكية والمحلية، إلا أن احتمالية الهزيمة الاستراتيجية تلوح في الأفق بشكل أكبر. فالخسائر العسكرية والمدنية في تزايد مستمر. كما أن القوة المشتركة لقوات الائتلاف والإيساف تضاعفت لأكثر من خمس مرات منذ 2002، ومع ذلك يزداد الإحباط الأفغاني بشأن الوضع الأمني. وقد ظلت ثقة الأفغان العاديين في تحسن وضعهم المباشر ووضع أفغانستان ككل منخفضة منذ الانحدار الحاد في عامي 2006 و2007. ومع استمرار المخاوف الأمنية، فإن الفشل المتصور أو الفعلي عن وصول العديد من الاستثمارات والمشاريع إلى المناطق الريفية النائية التي يهيمن عليها الفقر يوفر أرضاً خصبة لتجنيد المتمردين. وبعد سبع سنوات من الوعود، فإن الوقت آخذ في النفاد. لقد نفد صبر الأفغان في الخطب والشعارات. إذ هم بحاجة إلى الوفاء بوعود تحسين الوضع الأمني وتحقيق تحسينات ملموسة في وضعهم الشخصي - على أن يتم ذلك بسرعة، إذا كنا نأمل في توفير استقرار دائم لأفغانستان.

وداخل دوائر الجيش والناتو، كان هناك الكثير من المناقشات حول الحاجة إلى الترويج لفكرة أننا نحقق نجاحاً في أفغانستان. وفي هذا الشأن، تُنفق الملايين في جهود تسويق النجاح، والتغلب على التفضيل الإعلامي للأخبار السيئة، والمنافسة مع عدو سريع الحركة في بيئة معقدة وخلفية إعلامية غير مواتية غالباً. وقد وُصفت جهود السيطرة على القصص الأفغانية داخل الجيش بأنها "اتصالات استراتيجية". وبينما تعمل العديد من مراكز القيادة بجد لتعزيز هذا المفهوم، والذي يدور كلية حول تحقيق فعالية أكبر وتوحيد الصوت في الاتصالات العامة، فإن المرء يتساءل عما إذا كان المطلوب حقاً ليس "اتصالات استراتيجية"، وإنما استراتيجية اتصالات أفضل.

وحتى نتحلى بالنزاهة، فإن الاتصالات الخاصة بأفغانستان مهمة معقدة بشكل هائل. ومن الجذاب أن نعتقد أن توفير "قصص تنطوي على أخبار جيدة" إلى الإعلام، إلى جانب حقائق وإحصائيات وروايات متسقة

المقدم توماس برونز، بالجيش الأمريكي، هو مسؤول اتصالات استراتيجية متمركز في مقر قيادة القوات المشتركة التابعة للناتو، برونسوم، هولندا. كما انتشر في أربع مهام إلى كابول، أفغانستان، كعضو في قيادة القوات المشتركة - أفغانستان أو مركز قيادة قوة المساعدة الأمنية الدولية. وهو حاصل على بكالوريوس من جامعة كاليفورنيا، ديفيس، وماجستير علوم من جامعة تروي.

صورة: الجنود الأمريكيون ورجال الشرطة الأفغانية يسيرون في موقع هجوم انتحاري في كابول في 15 مارس 2009 (AFP، مسعود حسيني وحامد زالماي)

حول سبب تواجدنا في أفغانستان، سوف يحل المشكلة. ورغم ذلك، فإن عدد الأطراف المشاركة وعدد الجمهور الذي سيتم إشراكه بشكل متزامن قد يكون هائلاً. وفي عالم مثالي، فإن جميع الأطراف المشاركة، من الأمم المتحدة إلى زعماء القبائل في أفغانستان، سوف ينقلون رسائل متطابقة، يحاكيها الإعلام. وللأسف، فإن الأجندات المختلفة والمتعارضة بشكل متكرر، والتصورات المختلفة للوضع الراهن، والأهم من ذلك، الجمهور المختلف بشكل هائل ذو الاحتياجات والمصالح المختلفة يشير إلى أن أفضل ما نصبوا إليه هو بعض التنسيق للاتصالات.وهناك دور هائل يجب أن يلعبه الناتو والإيساف في تحقيق هذا التنسيق.

ورغم تجدد التركيز على أفغانستان - بعد أن كان ينصب تركيزنا منذ فترة طويلة على العراق - حققنا تقدماً ضئيلاً في تغيير التصورات، سواء هناك أو على المستوى الدولي. وتغيير هذه القوة الدافعة جوهري لمستقبل أفغانستان. كما أن التصورات الأكثر أهمية ترتبط بجبهتين: يتعين أن يدعم شعب أفغانستان حكومته الحالية ويرفض ما يقدمه المتمردون، كما يتعين على شعوب الدول التي تسهم بقوات وموارد في الإيساف دعم جهود حكوماتهم في أفغانستان. ويجب على الناتو والإيساف التواصل مع كل هذا الجمهور للتغلب على استراتيجية الاتصالات الطموحة التي يتبناها المتمردون. وحتى إذا نجحت استراتيجية الاتصالات الخاصة بنا، فإن الإجراءات المتخذة في أفغانستان سوف تؤثر في النهاية على التصورات بين الجمهور كله أكثر من أي إصدار صحفي.

إن محاولة التحكم في «الفضاء المعلوماتي» هو أشبه من طرق عديدة بمحاولة السيطرة على حبات من الزئبق المسكوب من ترمومتر مكسور. فالصحفيون الذين يعرفون أنهم سوف يحصلون على انجذاب أكثر من محرريهم من آخر مكالمة هاتفية من "متحدث

باسم طالبان" مُعين ذاتيا، غالباً ما يتجاهلون الإصدارات الصحفية المُدارة والمبحوثة بعناية، والمليئة بالحقائق والإحصائيات. كما يغلب أن تتصدر الأخبار السيئة - وهناك الكثير من الأخبار السيئة التي يمكن نشرها - وغالباً ما تمضي الأخبار الجيدة الموجودة بدون أي ذكر. ورغم ذلك، فإنه لا يمكن للاتصالات الاستراتيجية أن تحل محل الوقائع على الأرض. وكما قال وزير الدفاع روبرت جيتس، "الحل . . ليس في حملة علاقات عامة ماهرة، أو محاولة إخراج القاعدة من حملة الدعاية، لكن من خلال التراكم الثابت للإجراءات والنتائج التي تبني الثقة والموثوقية بمرور الوقت."[1]

المستقبل بأيدي الأفغان

الحقائق على الأرض ليست في صالحنا حالياً. فقد ارتفعت حصيلة "موسم القتال" في الصيف الماضي من القتلى وبلغت 268 حالة وفاة بين قوات الائتلاف، ولأول مرة تتجاوز حصيلة الموتى في العراق لعدة أشهر.[2] ومحاولات تبرير هذه الخسائر العسكرية والمدنية الآخذة في الارتفاع بثبات - بالقول إنها نتيجة وجودنا المتزايد في مناطق مهملة حتى الآن - لا تلقى قبولاً بين الجمهور. فقد وفر الشتاء فرصة لكي يقوم المتمردون بإعادة التجمع والتجنيد والرد، ومن غير المحتمل أن يؤدي نشر 10 أو 15 أو 20 ألف جندي إضافي إلى تغيير الوضع بشكل كبير للأفضل بدون تغيير كبير في الاستراتيجية. ومنذ

الحقائق على الأرض ليست في صالحنا حالياً.

الأيام الأولى لعملية الحرية الدائمة، عندما تم نشر 9200 جندي في أفغانستان، زادت أحداث العنف تقريباً بما يتوازى مع القوة الإجمالية للقوات. وفي الواقع، فإنه نظراً

إيان كوكبرن

رغم شكاوى الفساد، فإن العديد من رجال الشرطة الوطنية الأفغانية المتفانيين يخاطرون بأرواحهم يومياً. تتحمل الشرطة الوطنية الأفغانية وطأة التمرد، حيث تزيد الخسائر في صفوفهم ثلاثة أضعاف عن مثيلاتها في الجيش الوطني الأفغاني.

لاستخدام المتمردين المتزايد لوسائل غير متماثلة، ارتفع وقوع الأحداث والخسائر المصاحبة (التي تشمل المدنيين) بشكل أسرع من قوة القوات. ورغم أن توفير قوات إضافية قوامها 20000 جندي يبدو خطوة هامة للأمام، إلا أن السنوات السبع الماضية تظهر تدهور الوضع الأمني بشكل أكبر قبل تحسنه. وفكرة أن هناك "نقطة لتغيير الأحداث" تؤدي زيادة قوة القوات عندها إلى بدء انحسار العنف هو أمر مشكوك فيه. ولو أن هناك مثل نقطة تغيير الأحداث تلك، فقد يتطلب الأمر ما يقارب 150000 من القوات الإضافية. وهذا استثمار من غير المحتمل أن تقوم به الولايات المتحدة وشركاؤها الآخرون من الناتو.

ويمكننا تعويض بعض النقص من خلال الاستمرار في تدريب وتسليح القوات الأفغانية الوطنية، بما في ذلك الجيش والشرطة وقوات أمن الحدود، والمكونات الأخرى في

القوات الأمنية الوطنية الأفغانية. وباستثناء الجيش، كان التقدم بطيئاً على نحو مُحبط ومؤلم. فإجمالي عدد قوات الشرطة الوطنية الأفغانية اليوم، بدولة يقارب تعدادها 30 مليون نسمة، هو فقط ضعف عدد رجال الشرطة في مدينة نيويورك.[3] ورغم تحمل وطأة عنف المتمردين، لا تزال الشرطة الأفغانية تعاني من تهم الفساد والحزبية القبلية وغياب المعدات والتدريب. وتبلغ قوة الجيش الوطني الأفغاني ما يقارب 70000، مع هدف نهائي بأن يصل إلى 134000 خلال السنوات الثلاث القادمة، وسط أسئلة تتعلق بالاستدامة المالية. وحتى إذا وضع المجتمع الدولي خطة قابلة للتطبيق لتمويل الجيش الوطني الأفغاني مع استمرار نمو الاقتصاد الأفغاني، فقد لا يكون بوسعنا تحمل الوقت المطلوب لبناء قدراته للدفاع عن أفغانستان بمفرده.

إن العجز في القوات الأمنية أثار دعوات لتسليح الميليشيات القبلية - وهو نوع من برنامج «مراقبة الأحياء» بالأسلحة. وقد ساهمت مبادرة مشابهة بشكل كبير في خفض مستوى العنف في العراق. ورغم ذلك، هناك اختلافات هامة بين العراق وأفغانستان. فبدلاً من وجود طائفتين رئيسيتين فقط - هما السنة والشيعة - فإن أفغانستان موطن لمئات القبائل والعشائر التي يمكن إقناعها بالعمل معاً لهزيمة تهديد مشترك، مثل أحد الغزاة الأجانب. لكن في ظل غياب تهديد مشترك، فإنهم يعودون إلى العمل لتحقيق مصالح قبائلهم الخاصة أو يقوم أحد الزعماء بتوحيد بضعة قبائل مؤقتاً لحل مشكلة محلية. إذا مكّنا القبائل الأفغانية من توفير أمنها الخاص، فسنكون قد ضيعنا سنوات من العمل على نزع سلاح الميليشيات من أجل إعطاء احتكار القوات العسكرية للحكومة الوطنية (حيث مكانها الطبيعي). وكأحد الأمثلة على ما يمكن أن يحدث إذا تولت القبائل الأفغانية المسؤولية الأمنية، يجب أن نتذكر العنف

إيان كوكرين

يأتي المجندون بالجيش الوطني الأفغاني من مجموعة عريضة من الخلفيات ويتطوعون لعدد من الأسباب. (فبراير 2007)

الذي شهدته أفغانستان بعد مغادرة الاتحاد السوفيتي والصراعات الدامية على السلطة التي استمرت حتى تمكنت طالبان من فرض نسختها الأمنية الخاصة.

إن تسليح «الأفغان العاديين» ومطالبتهم بتأمين أنفسهم سوف يخلق مشاكل أكبر من المشاكل التي يحلها، لكن هؤلاء «الأفغان العاديون» أنفسهم هم تحديداً من يجب أن ينصب تركيزنا عليهم. على الأفغان العاديين قبول الصيغة الحالية للحكومة ورفض ما يقدمه المتمردون. ورغم ذلك، فإن الوضع الأمني الحالي الذي لا يمكن التنبؤ به لا يقدم أي شيء لإعادة طمأنة هؤلاء الأفغان العاديين بشأن مستقبلهم. وهذا يتطلب المستوى الأدنى من الأمن لكسب الوقت لإنجاز البنية التحتية والتنمية الاقتصادية المطلوبة لجلب الاستقرار للبلد وتوفير مستوى معيشي أساسي. ومن شأن المستوى المعيشي الأساسي أن يعمل على تجفيف قاعدة تجنيد المتمردين، حيث إن السكان الذين ليس لديهم ما يخسرونه من السهل تجنيدهم لارتكاب أعمال تفجير انتحارية ضد «الغزاة الأجانب». وهناك عدد صغير نسبياً من المتمردين من المناطق المطحونة اقتصادياً بوسعهم استخدام الهجمات المثيرة والدعاية لتعظيم قوتهم المتصورة. ونتيجة لذلك، فإنه حتى في المناطق التي يوجد بها ازدهار نسبي، يمكن للمتمردين بسهولة استغلال الثغرات الأمنية لمصلحتهم حتى عندما تكون الأغلبية ضد التمرد. يجب علينا تحسين الأمن والمعايير المعيشية الأساسية بشكل متزامن إذا كنا نأمل أن نقنع الأفغان العاديين بأن حكومتهم تفوز بالمعركة ضد المتمردين.

إن تاريخ أفغانستان على مدار العقود الثلاثة الأخيرة يجعل الأفغان مترددين للغاية بشأن اختيار الجانب الذي ينحازون إليه. وبينما يفضل الأفغان حكومتهم الحالية في السر على أي شيء قد يعرضه المتمردون، فإنهم يترددون في ذكر ذلك صراحة، لأن القيام بذلك يجعلهم معرضين لخطر محدق. وعبر التاريخ، عانى الأفغان بشكل متكرر من الإذلال على يد القوات الخارجية المعادية والمنافسات المميتة والحرب والتغييرات السريعة في الحكومة. ولأن الجهات المسيطرة على قراهم قد تغيرت بشكل متكرر بدون سابق إنذار، ولا يزال الأمر على حاله، فإن الأفغاني العادي يظل لا يبدي أي التزام حتى ينكشف الغبار عن المستقبل. وتسري هنا ملاحظة السير روبرت تومبسون بشأن مالايا: "ما يريد الفلاح أن يعرفه هو: هل تقصد الحكومة الفوز بالحرب؟ لأنه إذا لم يكن الأمر كذلك، فسوف يتعين عليه دعم المتمرد."[4]

ومن الحتمي أن نحفز الأفغان على اتخاذ موقف عام - لا رجعة فيه - لصالح الحكومة. ورغم ذلك، فإن هذه الحتمية تقترن بمسؤولية ثقيلة. فإذا أقنعنا الأفغان باتخاذ موقف، فنحن ملتزمون بتدعيمهم عندما يتحداهم المتمردون - ومن المؤكد أنهم سيفعلون ذلك. توجد قوات أمنية كافية في أفغانستان للقيام بهذا على النطاق المحلي وفي حالات منعزلة، لكن هذا نادراً ما يحدث. ومن وقت لآخر، يصرح عدد من قبائل ومجتمعات الأفغان علانية بدعمهم للحكومة. والأمر الجوهري للغاية والحتمي من الناحية الأخلاقية هو أن ندعمهم عندما يتحداهم المتمردون بسبب هذه التصريحات العلانية. تراقب المجتمعات المجاورة الموقف بعناية لمعرفة كيف ستطور الأمور. وإذا راق لهم

إن تاريخ أفغانستان على مدار العقود الثلاثة الأخيرة يجعل الأفغان مترددين للغاية بشأن اختيار الجانب الذي ينحازون إليه.

ما يرونه، فمن المحتمل كثيراً أن يتصرفوا بطريقة مشابهة - فالأخبار تنتشر سريعاً في أفغانستان رغم الغياب النسبي لوسائل الإعلام الجماهيري التقليدية. ويلزم

إيان كيركين

منازل احتساء الشاي هي مكان هام تتم فيه مناقشة قضايا اليوم، بما في ذلك دور وأداء القوات الدولية، مايو 2007.

تعزيز هذا الاتجاه وتطويره حتى يصل إلى تكتل جوهري - انتفاضة شعبية مؤيدة للحكومة يعجز المتمردون عن إيقافها.

القلوب والعقول: ميدان غير متوازن؟

بالنسبة للأفغاني العادي، فإن العقبة الكبرى أمام اتخاذ مثل هذا الموقف هو استغلال المتمردين للدعاية بشكل فعال - وخصوصاً استغلال العنف كشكل من أشكال الدعاية. يفهم المتمردون بوضوح خطورة بيئة المعلومات ويُدركون أهمية الدعاية في تحقيق أهدافهم. وببعض الطرق، يمثل الإعلام ميداناً غير متوازن يفضل المتمردين - وهم يستغلونه لمصلحتهم بلا هوادة. كما أنهم يتشاركون في روابط دينية وقبلية وأخلاقية ولغوية ولديهم فهم أعمق وأثرى بالثقافة الأفغانية واحتياجات الأفغان ونقاط ضعفهم. ونادراً ما يلتزمون بالحاجة إلى الصدق أو الحاجة إلى تأكيد الحقائق، مما يتيح لهم التفاعل بشكل أسرع مع الأحداث - وخصوصاً عندما يكونوا قد هندسوا هذه الأحداث لدعم قضيتهم. وعلاوة على ذلك، فإن رغبة المؤسسات الإعلامية لتحقيق الأرباح تجعلهم يفضلون التقارير المثيرة التي تنشر دعاية المتمردين.

ومع ذلك، فإن الحكومة الأفغانية والناتو والإيساف هم ألد أعداء أنفسهم من بعض الطرق. إذا يجب أن يكون بمقدورهم استغلال موثوقيتهم ومواردهم ووصولهم السهل إلى الجمهور لإبراز عدم قدرة طالبان على تقديم أي شيء للأفغان سوى الوحشية. ورغم هذه الميزة، يتساءل العديد من المراقبين عمن يفوز بحرب الأفكار.[5] فالاختلافات الثقافية بين الناتو/الإيساف والشعب الأفغاني، وبين الحكومة الأفغانية في كابول وبعض دوائرها في المناطق النائية، تقدم ميزة هائلة للمتمردين.

ومع ذلك، فإن العديد من العوائق أمام المنافسة في حرب الأفكار مفروضة ذاتياً. فقد تساعد الهياكل البيروقراطية والهرمية على ضمان اتساق الرسائل،

لكنها تعيق أيضاً سرعة الحركة. كما أن القيود على استخدام الموضوعات الدينية يحد نوعاً ما من استخدام الشعر والموسيقى وغيرها من الأدوات ذات الصلة من الناحية الثقافية. تشمل العوائق الأخرى غياب سياسة متسقة للناتو بشأن باكستان وجيران آخرين، والمناهج المختلفة فيما يتعلق بمحاسبة الحكومة الأفغانية والصعوبات في تنسيق الرسائل مع الأمم المتحدة.

ورغم بذل أفضل جهودها، فإن القوات الأجنبية والحكومة الأفغانية يقدمان بدون قصد المادة الخصبة لمخططي دعاية المتمردين. فالأخطاء والحوادث التي تؤدي إلى الخسائر المدنية وإلحاق الضرر بالبنية التحتية هي عواقب لا يمكن تجنبها للعمليات العسكرية. وحتى استخدام الأسلحة الدقيقة لا يمكنه القضاء على مثل تلك الحوادث. كما أن الغياب النسبي للقوات البرية يؤدي إلى اعتماد أكبر على الأسلحة الجوية عندما تواجه تلك القوات البرية مشكلات. ومن خلال استغلال انعدام الثقة القوي لدى الأفغان في النوايا الأجنبية والأعباء التاريخية، يتمكن المتمردون من تحويل أخطائنا إلى أرباح دعائية وتعبئة الدعم لقضيتهم. إن عدم معرفة قواتنا بالثقافة الأفغانية يؤدي إلى مزيد من الأخطاء والعثرات فيما يتعلق بتوقعات الأفغان. وتواجه الحكومة الأفغانية مشكلات أقل في هذا الصدد وبوسعها توظيف قواتها العسكرية الخاصة بطريقة أكثر شخصية وحساسية ثقافية. ومع ذلك، فإنه نظراً لافتقار القوات الأفغانية إلى قوة جوية كبيرة خاصة بها، فإن الجنود الأفغان يطلبون القوة الجوية الأجنبية لإخراجهم من أي مأزق يتعرضون له، مما يترتب عليه غالباً رد فعل معاكس باتجاه القوات الدولية عندما تسوء الأمور. والمشكلات الأكبر بكثير بالنسبة للحكومة هي شيوع التصور المستمر وواسع النطاق بانتشار الفساد داخل أعلى المستويات، وهو فشل متصور عن توفير الخدمات الحيوية - بما في ذلك الأمن - وافتقارها للشرعية بين الشعب الأفغاني.

الوسائل المعلوماتية التي يستخدمها المتمردون في الدعاية مثل الخطابات الليلية والتصريحات الصحفية ومواقع الإنترنت واللاسلكي المتنقل وأسطوانات الدي في دي، غالباً ما تكون ذات مصداقية قليلة لدى الشعب الأفغاني.[6] وبالنظر فقط إلى هذه الأشكال "التقليدية" للدعاية، فإننا نتجاهل جانباً هائلاً من جهود الدعاية للمتمردين.

والقوة التي يحظى بها المتمردون في «الفضاء المعلوماتي» لا تتعلق بما يقولونه - وإنما بما يفعلونه. فالأفعال، مثل قطع الرؤوس وعمليات الشنق والضرب العلنية، والتفجيرات الانتحارية، والهجمات بالأسلحة الانفجارية الارتجالية، والاغتيالات تظهر قدرة المتمردين في الوفاء بوعودهم. وهذه الدعاية تتمتع بموثوقية منخفضة لدى الأفغان العاديين ولدى الجمهور الدولي. إن التبرير الديني للتمرد لا يلقى صدى لدى الغالبية العظمى من الأفغان، ومع ذلك فإن الأمر يتطلب فقط مجموعة من المتحمسين الراغبين في تفجير أنفسهم في حشد من الأفغان لإرسال رسالة أكثر قوة بكثير. وهذه الأفعال تعطي مصداقية حقيقية لتهديدات المتمردين بإلحاق الأذى. إن الرغبة الظاهرة لدعم تهديداتهم تضع المتمردين في موضع القدرة على استخدام العصي بفعالية أكبر بكثير من قدرتنا على استخدام الجزر.

ومع الإثبات المتكرر لاستعدادهم في «الوفاء بالوعود» فيما يتعلق بالعنف، فإن المتمردين قادرون في الوقت ذاته على استغلال عجز الحكومة الأفغانية عن الوفاء بوعودها فيما يتعلق بالأمن والتنمية والحوكمة. إن سجل المتمردين في توفير التنمية والحوكمة سيء للغاية، وهم يفتقرون إلى رؤية موحدة ومشتركة لأفغانستان. ومع ذلك، لا يحتاج المتمردون سوى إلى إثبات فشل حكومة أفغانستان والغرب. ومن خلال الحفاظ على الوضع الراهن - وهو الركود - فإنهم يعززون من مصداقيتهم ويقوضون من مصداقيتنا ومصداقية الحكومة الأفغانية.

Iain Cochrane

Elders discuss unknown topics in front of their closed shops, March 2008.

يستغل المتمردون قدرتهم على الانخراط في السكان واستغلال الشكاوى الشعبية والأخلاقيات والروابط الدينية والتاريخية لتصوير الحكومة على أنها لا تتمتع بالكفاءة وتمثل قوات أجنبية تابعة لأطراف خارجية. وهدف المتمردين هو أن يوفروا للسكان المروعين والمحبطين والساخطين بديلهم الوحيد باعتباره الحل الأوحد للوضع الراهن. ومع تسلحهم بميزة هائلة في الفضاء المعلوماتي، فإنهم راغبين في خسارة المهام التقليدية والتكتيكية للحصول على هدف استراتيجي - وهو الطرد النهائي للحكومة الأفغانية والمحتلين الأجانب.

ويقع في صلب استراتيجية المتمردين التركيز على الإقناع باعتباره الهدف النهائي لكافة عملياتهم. وفي الدوائر العسكرية الغربية، يغلب أن نصف الأفعال على أنها "حركية" أو "غير حركية". وهذا الفصل بين الاثنين هو جوهر مشكلتنا ونجاح المتمردين. ينظر المتمردون إلى "الحركة" و"عدم الحركة" على أنهما نفس الشيء. ووفقا لآجيا ريبورت (Asia Report)، "يغلب علينا النظر إلى عمليات المعلومات على أنها عمليات [قتالية] حركية تكميلية. . . ومن الناحية الفعلية فإن أي عملية حركية يقومون بها مصممة خصيصاً للتأثير على الاتجاهات أو التصورات."[7]

لم تكن هجمات القاعدة في 11 سبتمبر تتعلق بقتل عدد ضخم من أهل الغرب فقط، بل كانت تتعلق بالتأثير على اتجاهات الشعب الأمريكي وأفعال الحكومة الأمريكية. ورغم أن دفعهم إلى الجبال لم يكن جزءاً محتملاً من حسابات القاعدة، إلا أن أسامة بن لادن هو وحده من يعرف بالتأكيد ما إذا كانت الأهداف النهائية لهذه العملية المعلوماتية الهائلة قد تحققت أم لا. واصلت طالبان ومجموعات المتمردين الأخرى داخل أفغانستان التخطيط لعملياتهم بهذه الطريقة. يدفع المتمردون باستراتيجيتهم المعلوماتية داخل أفغانستان، حيث يعتمدون كثيراً على التهديدات والتخويف، وعلى المستوى الدولي، حيث يستخدمون "كافة الشبكات المتاحة - السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية - لإقناع صانعي القرار لدى العدو بأن أهدافهم الاستراتيجية لا يمكن تحقيقها أو مُكلفة للغاية مقارنة بالميزة المتصورة."[8]

تحويل عنف المتمردين إلى صالحنا

إن تصورات الجمهور المنخرط في الأحداث تشكل نقطة ضعف قاتلة للناتو عندما يتعلق الأمر بأفغانستان - سواء بالنسبة للأفغان أو الأمريكان أو الفرنسيين أو

Iain Cochrane

(ISAF's newspaper provides a means to inform the literate minority. The other 75 percent or so must be reached in other ways. (Kabul, April 2007

أي شـريك آخر يسـهم في مهمة الإيساف. إذا لم يدعم الأفغـان حكومتهـم وقواتنـا، فلن نحقق النجـاح. وفي الوقت ذاته، إذا فشـل الغرب عن رؤيـة أي أمل وهدف في مهمة الإيساف، فإنه سوف يسحب دعمه.

إن هذا الاتجاه في أفغانسـتان ليـس في صالحنا. وعلى المسـتوى الدولـي، هناك مؤشـرات علـى أن المتمردين لا يكثفون فقط من اسـتهداف الجمهور غير الأفغاني، وإنما ربمـا يحققون نجاحاً متزايداً معهـم. والنقاش حول ما إذا كان يلـزم بذل جهـود إضافية لإقناع الأفغـان بأن التمرد سـوف يفشـل، أو إقناع المجتمع الدولي بتوفيـر مزيد من الدعـم، أمر لا طائل مـن ورائه. فكلاهمـا مطلوب وعلى وجه السرعة.

ومع ذلـك، يتمتع الجيش بمزيد من السـيطرة والأدوات المؤثـرة ويمكنه تنسـيق أفعالـه على نحـو أفضل داخل أفغانسـتان. وبالإضافـة إلـى ذلـك، فإن دعم الشـعب الأفغانـي لحكومتـه، مقارنة بما تعرضه طالبـان (إن وجد أصـلاً ما تعرضه)، هـو الأمر الذي يدور حولـه الصراع في أفغانستان.

إن إدراك أهميـة التصور العام داخل أفغانسـتان ازداد بشـكل دراماتيكي داخل دوائر الناتو العسكرية. ورغم ما تشـير إليه التقارير الإخبارية، كانت هنـاك جهود هائلة للحد من الخسـائر المدنية، وإجراء عمليات مشـتركة بين الأفغان والإيساف، وتغيير طريقة تفتيش منازل المتمردين المشـتبه فيهم وتدريب الجنود على التصرف بطرق تتسق بشكل أفضل مع الأفغان.

وفي إشـارة إلى قدرة المتمردين على تعبئة الرأي العام من خلال العنف، فإننا نضع الآن عامل التأثيرات النفسية المحتملة الناجمة عن أفعالنا العسـكرية فـي اعتباراتنا التخطيطية. يتفهم مخططو قوات التحالف أن التركيز على الشـبكة ومحاولة قتل أو أسـر جميع الإرهابيين أو المتمرديـن هو مهمة شـاقة للغاية. كما أنـه يعجز عن مواجهة السبب الجذري، ألا وهو التحرك.

وبدلاً من الاستعانة بأفعال أو عمليات التأثير لإكمال الجهد الرئيسي - وهو قتل المتمردين وأسرهم - يلزم أن يكون «التأثير» هو الجهد الرئيسي في أفغانستان. كما يلزم دعم التأثير من خلال القوة العسكرية حسب الحاجة. ولا يشير هذا إلى أنه يجب علينا الامتناع عن استخدام القوة العسكرية، وإنما يشير إلى أنه عند تقرير ما إذا كان سيتم استخدام القوة العسكرية من عدمه ووقت ذلك وكيفيته، يجب أن يكون العمل الرئيسي الذي ننظر إليه هو تأثيره على الأفغان ودعمهم لحكومتهم.

ومنذ عام 2005، تصاعد استخدام التفجيرات الانتحارية - وهو سلوك لم يكن معروفاً فعلياً في أفغانستان - بشكل هائل.[9] وتزامن مع هذا استخدام الأجهزة التفجيرية الارتجالية فضلاً عن التصاعد الكبير لتنسيق الأحداث التي يقتل فيها المتمردون العاملين من الجمهور الأفغاني والمدنيين الأفغان - إلى جانب التغطية الإعلامية. وبينما كانت هناك الكثير من الدراسات للاتجاهات في استخدام المتمردين لأشكال الدعاية "التقليدية"، فإننا غالباً ما نتجاهل أو نتغاضى أو نسيء تفسير دور العنف في التأثير على الاتجاهات والسلوك. كما كانت هناك خطوات لمواجهة استخدام المتمردين للعنف، لكنها ضئيلة جداً من حيث الديناميكيات المستخدمة في تشكيل تصورات الجمهور الأفغاني. إننا بحاجة لتحويل استخدام المتمردين للعنف إلى صالحنا.

تركز الجهود المستمرة لمواجهة دعاية المتمردين بشكل هائل على استخدام وسائل الإعلام الجماهيري لتغيير الاتجاهات، لأننا على معرفة بالإعلام الجماهيري من ثقافتنا الخاصة، ولأن استخدامها لتغيير الاتجاهات حقق نتائج جيدة نسبياً في جهود الناتو الأخيرة في البوسنة وكوسوفو. وفي أفغانستان، غالباً ما نضع استخدام الإعلامي الجماهيري وغيره من أدوات التأثير على الاتجاهات في دور مواز أو تكميلي، للعمليات. ونحن نحاول زيادة الدعم العام للجهود الحكومية، بينما تستمر عمليات إخراج المتمردين من مخابئهم تمضي على قدم وساق. وهناك لوحات إعلانية وجرائد ومراكز تليفزيونية وشبكة متزايدة من محطات اللاسلكي. ونحن نستخدم هذه الأدوات لتغيير اتجاهات الشعب الأفغاني (على أمل أن يليه تغير في سلوكهم)، بينما نتجاهل سلوك المتمردين أنفسهم. ونحن نفترض أنها متأصلة في أيديولوجيتهم حتى أنه لا أمل لدينا من تغييرها. والأهم من ذلك، أننا نهمل تقريباً السلوك نفسه كلية ونعتبره شيئاً ينبغي أن نحاول تغييره. وهناك بعض الجهود لإقناع المتمردين بالتصرف على نحو مختلف من خلال "إظهار تبعات سلوكهم" - على سبيل المثال، من خلال ملاحقتهم بلا هوادة باستخدام وسائل عسكرية. وعندما يواصل المتمردون التصرف بعنف، فإن الاستجابة تكون غالباً لاستغلال سلوكهم وعنفهم لإظهار أنهم ليسوا سوى "أشخاص أشرار" لا يستحقون الدعم الشعبي. نحن نسلط الضوء على الفظائع التي يرتكبها المتمردون - مثل الهجوم بالمتفجرات الارتجالية، والهجمات الانتحارية، والتفجيرات، والاغتيالات، وقتل الأبرياء أو "الجواسيس" - لمحاولة دق إسفين بين الأفغان العاديين والمتمردين. وتتمثل المفارقة في أن من نطلب منهم سحب دعمهم للوقوف ضد المتمردين إذا كانوا يقدرون حياتهم أو حياة عائلاتهم هم ممن لا حول لهم ولا قوة.

والمشكلة الأولى في هذا الأسلوب هو أن الشعب الأفغاني يعارض بشدة صانعي المتفجرات الارتجالية والمتمردين.[10] إذ يعلم الأفغان جيداً من يتسبب في القتل ومن يتسبب في الموت. ويريدون إيقاف هذا الشيء، ولكنهم يشعرون بأنهم يفتقرون إلى القوة على إيقافه بأنفسهم. ورغم ذلك، فإن عدم دعمهم للمتمردين لا يُترجم إلى دعم متزايد للإيساف أو الحكومة الأفغانية. والواقع هو أن الاستبيانات غالباً ما تظهر العكس. فالزيادة في العنف العشوائي والذي لا يمكن التنبؤ به تمضي جنباً إلى جنب مع الغضب المتزايد بسبب فشل الحكومة والإيساف في

منع مثل تلك الحوادث. بعض الأفغان لا يلومون الإيساف فقط عن حالات الوفاة هذه، وإنما يشكون أيضاً في أنهم شركاء فيها، لأنه ليس بوسعهم أن يستوعبوا كيف أن مثل تلك المجموعة الضخمة والثرية والقوية من الدول لا تستطيع تخليصهم مما نزعم لسنوات أنهم مجرد بضعة آلاف من المتمردين. والأمل بأن نواصل العمل بنفس الطريقة التي اتبعناها حتى الآن، وأن يستنتج الأفغان يوما ما أنهم شهدوا ما يكفي من العنف من المتمردين ويقفون ضدهم، هو أمر عقيم لا طائل من ورائه. السيناريو الآخر الأكثر ترويعاً - وإن لم يكن غير مستبعد كلية - هو أن يفقدوا صبرهم، ويقفوا ضد الحكومة ويطالبوا بإنهاء وجود القوات الأجنبية.

نحن نكرس قدراً هائلاً من الجهد لتوعية قواتنا بالطريقة المثلى لتجنب الوقوع ضحايا للتفجيرات والهجمات، مع علمنا بأنها سوف تستمر وربما تزداد في المستقبل المنظور. ويجب أن تستمر هذه الجهود، إلى جانب بذل جهود لإيجاد حلول فنية يمكنها أن توفر إعانة مؤقتة حتى يُعدل المتمردون تكتيكاتهم في المقابل. ورغم ذلك، يجب علينا عدم تجاهل احتمالية أنه بوسعنا استخدام عمليات التأثير لإبطاء أو عكس الاتجاه الحالي لعنف المتمردين. ورغم ذلك، فإنه للقيام بذلك، من الضروري إيقاف الدعاية لهذه الأحداث بهدف بناء دعم جماهيري للإيساف أو الحكومة الأفغانية، لأن هذا قد يدعم فعلياً أهداف المتمردين ويشجع على تكرارها. إذا فهمنا أهداف المتمردين من وراء تنفيذ هجمات عنيفة، فقد يمكننا إقناعهم بأنهم لا يحققون هذه الأهداف، ومن ثم إقناعهم بتغيير تكتيكاتهم.

يهدف العنف الذي يمارسه المتمردون إلى خلق الذعر والخوف والشك بين السكان. كما أن العنف المستمر الذي لا يمكن التنبؤ به يجعل الأفغان يتساءلون حول ما إذا كانت حكومتهم أو القوات الأجنبية بوسعها القيام بأي شيء للحيلولة دونه. وعندما يستهدف هذا العنف، كما هو الحال غالباً، الحكومة أو القوات الأجنبية، ويتعرض المارة الأفغان للإصابة أو القتل، فإن الأفغان يحمون أنفسهم من الحوادث المستقبلية بتجنب الحكومة أو القوات الأجنبية. وعندما يحدث هذا مرة أو مرتين، فقد يلقي الأفغان باللائمة على المتمردين. وعندما يستمر بدون توقف أو عندما يزداد، تزيد احتمالية أن يلقي الأفغان باللائمة على السلطات بسبب عجزها عن اتخاذ إجراء فعال للحيلولة دونها.

كما أن الأفعال من جانب الأفغان أنفسهم تصبح أقل احتمالية بمرور الوقت، وفقاً لما تقتضيه الظاهرة النفسية الموثقة جيداً «الضعف المكتسب» - عندما يؤمن الناس أنه ليس لهم أي سيطرة على الوضع، فإنهم يتصرفون بسلبية، حتى إذا كانت لديهم القدرة على تغيير الظروف. إن الدعاية لعنف المتمردين على هذا النحو يخدم أهداف المتمردين من خلال زيادة عناصر البيئة التي تفضل قضية المتمردين.

والإجراء الأسوأ الذي يمكننا اتخاذه هو محاولة التغطية على أخطائنا فيما يتعلق بالخسائر المدنية ودمار البنية التحتية الأفغانية - والتي قد تدعو للأسف وربما تكون غير مقصودة. يبرز الإعلام من وقت لآخر تصريحات لمسؤولي الإيساف تؤكد على أن المتمردين يتسببون عمداً في وفيات أكبر بين المدنيين مما تسببه قوات الإيساف عن طريق الخطأ. وهذا لا يخلط فقط بين قضيتين منفصلتين تتطلبان حلولاً منفصلة، وإنما يضع الإيساف أيضاً في الجانب الفاسد أخلاقيا من القضية. فالمساواة بين الوفيات العرضية التي تتسبب فيها قوات الإيساف أثناء محاولة توفير الأمن وبين الوفيات المتعمدة التي يتسبب فيها المتمردون أثناء محاولة إسقاط حكومتهم يشوه إجراءات الإيساف على نحو أكبر ويساوي بينها وبين عنف المتمردين في عقول الأفغان العاديين - الذين يأتي سخطهم من الخسائر المدنية التي تتسبب فيها قوات الإيساف نتيجة توقعات أعلى من الإيساف. يبدي الأفغان

سخطاً أخلاقياً أقل بشأن حالات القتل التي يقوم بها المتمردون لأنهم يتعاملون مع المتمردين من معيار أخلاقي مختلف. يتوقع الأفغان من الإيساف وقف القتل، ومنع المتمردين من القتل.

ومما يجعل الأمور أسوأ أن سلوك قواتنا غالباً ما يوفر بدون إدراك هدية للمتمردين المنخرطين في العنف، ويشجع على مزيد من تكراره. فبعد هجوم ما، يتم "تثبيت وتحصين" قوات الإيساف لفترة محددة لضمان أن الهجوم ليس جزءاً من سلسلة أوسع من الهجمات. وقوات الإيساف التي يُسمح لها بالذهاب إلى المنطقة المتضررة تقوم بذلك في ظل حذر كامل، وحماية ويقظة متزايدين. ونادراً ما تبذل أي جهود للتفاعل مباشرة مع الأفغان المتأثرين، ويحتمل أن هذا يرجع إلى أن الإيساف تفضل "أن تدع السلطات الأفغانية تعالج الموقف". ورغم أن هذه الإجراءات يمكن تفهمها من وجهة نظر "حماية القوات"، فإنها قد تسبب ضرراً يفوق ما تسببه من نفع. فهم بهذا يؤكدون فكرة أن جنود الإيساف قلقون بشأن سلامتهم أكثر من قلقهم على الأفغان العاديين، وهم يزيدون من الفجوة التي تفصل الأفغان عن القوات الأجنبية التي تستقل المركبات المدرعة وتختفي خلف سترات واقية من الرصاص ونوافذ ونظارات ملونة. كما أنهم يعجزون عن نقل أي تعاطف للمعاناة الإنسانية أو بناء أو استغلال سخط عام ضد الجناة، وينقلون الخوف بدلاً من القوة أو السلطة. ورغم أن المتمردين خططوا في بعض الأحيان لهجمات معقدة تضم العديد من التفجيرات، إلا أن الغالبية العظمى من تلك الهجمات انطوت على انفجار واحد فقط. ولهذا فإنه من المثير للتساؤل ما إذا كانت مكاسب تلك القيود على المتابعة تبرر الفرص الضائعة والرسالة التي يتم نقلها بدون قصد.

إن عكس تأثيرات الهجمات العنيفة سوف يقنع المتمردين بتغيير أساليبهم. وهذا يعني أنه يلزم تحويل الخوف والرعب والشك إلى سخط عام وتضامن متبادل. يحتاج الأفغان إلى تشجيعهم على إعادة توجيه سخطهم باتجاه المتمردين بطريقة عامة بدلاً من تحميل القوات الأجنبية والحكومة الأفغانية المسؤولية عن تلك الحوادث الأمنية. إن إزكاء الإحباط الحالي من خلال تصريحات إعلامية لوسائل الإعلام الجماهيرية لن يحقق سوى القليل لإنجاز هذه الأهداف، ولذا يجب أن يكون التدخل على مستوى شخصي. وبدلاً من التراخي والتراجع بعد وقوع هجوم ما، يتعين على قوات وقادة الإيساف - في إشارة تعاطف وتضامن - زيادة تواجدهم في المناطق المتضررة. وربما يكون من المفيد، من خلال التشاور والشراكة مع السلطات الأفغانية الحالية وربما مع الأعضاء المحليين من الشرطة الوطنية الأفغانية، القيام بزيارات إلى العائلات المتضررة وقادة القبائل، حيثما أمكن، لتقديم التعازي والتعبير عن التعاطف وتقديم الهدايا. وإذا تمت هذه الزيارات بشكل ملائم، فإنها قد تشجع المجتمعات المتضررة على التظاهر علانية ضد العنف، والتعبير عن التضامن مع حكومتهم والجنود العاملين على منع تلك الهجمات.

ورغم أن البعض قد يتساءل حول إمكانية تنسيق المظاهرات العامة ضد المتمردين، فقد حدث ذلك في الواقع عدة مرات مؤخراً. ففي أواسط أكتوبر 2008، أدارت بعناية السلطات المحلية في هيلماند والأقاليم المحيطة ردود الفعل على سلسلة من هجمات المتمردين. فقد عبر الأفغان هناك عن غضبهم ضد المتمردين وليس السلطات، وانتشرت الاحتجاجات إلى أقاليم بعيدة مثل لاجهمان وناجارهار وباكتيا وحيرات وباميان. وفي حيرات، سمع تجمع ترأسه حاكم الإقليم تصريحات من قبل مختلف المشاركين والمسؤولين الحكوميين وعلماء الدين يصفون فيه طالبان بكونها "غير إسلامية". ولم تحدث هذه الاحتجاجات تلقائية، وإنما رعتها السلطات الحكومية بعناية. وقد منحت هذه الاحتجاجات الأفغان المحليين وسائل للتعبير عن غضبهم ضد المسؤولين

الفعليين وعززت من فكرة أن الحكومة مهتمة برفاهية هؤلاء المتضررين. كما أصدر مجلس العلماء في كابول تصريحات بشأن الطبيعة غير الإسلامية للهجمات. ولمواصلة استغلال هذه الأحداث، عبرت الحكومة المحلية والممثلين الأجانب عن تعازيهم ثلاثة وأربعين يوماً بعد الحدث، وفق العادات المحلية.

وهذه هي أنواع الأحداث التي يجب أن تلقى الدعاية في الإعلام الجماهيري، لإثبات أن الأفغان المتضررين من عنف المتمردين ليسوا وحدهم في حزنهم أو غضبهم. يجب علينا دراسة الدروس المستفادة من تلك الحوادث وتطبيقها في أماكن أخرى. وبالإضافة إلى ذلك، وكما ذكرنا سابقاً، يجب زيادة مستوى الأمن والتواجد حتى لا نترك هؤلاء الأفغان حديثي العهد بالقوة والتمكين عرضة للانتقام من قبل المتمردين.

وإلى جانب جعل المتمردين يتساءلون بشأن جدوى العنف في تحقيق أهدافهم، فإن هذه الأنواع من الأحداث المُهندسة لها مزايا إضافية غير مرئية. فغالباً ما يكون هناك أفراد داخل المجتمع لديهم معلومات بشأن آخرين ممن يدعمون المتمردين بنشاط أو سلبية، لكنهم غير راغبين في مشاركتها مع السلطات. ورغم أننا نريد من هؤلاء الذين يمتلكون تلك المعلومات الإبلاغ عنها إلى الإيساف أو قوات الأمن الحكومية، فقد يكون من المفيد في النهاية لو أنهم أبلغوا عن تلك المعلومات إلى زعمائهم أو عبروا عن استهجانهم على انفراد. وهذه الوسيلة تمنح الزعماء المحليين، المسلحين الآن بهذه المعلومات، فرص إثبات أنهم يفعلون شيئا ما لحل المشكلة وإبراز وضع المتمردين باعتبارهم أقلية.

ولأجل الاستغلال الكامل لتلك الفرص، يجب علينا إعادة التفكير فيما نود أن تتمخض عنه جهودنا الاستخباراتية. علينا استبدال نظم رفع التقارير والتحليل خلف نظم الكمبيوتر السرية، والتي تعزز جهود قتل وأسر المتمردين، باستخبارات محلية حول هويات المتمردين ومواقعهم وشبكات دعمهم. إن ديناميكيات القرى والديناميكيات القبلية، والاقتصاديات المحلية وهياكل السلطة، واحتياجات الأفغان المتضررين - "وتخطيط الطبيعة البشرية" السائدة حالياً - ضروري إذا كنا ننوي التأثير على تفكير وأفعال الأفغان المحليين. إن مقصود وتأثير الدعاية من كافة الأنواع يلزم أن يكون مفهوماً محلياً، وليس في كابول وحدها. وبدلاً من استخدام الوسائل الفنية المُكلفة أو المقاولين من الغرب، يجب علينا الحصول على هذا النوع من الاستخبارات من خلال الاتصالات البشرية، مدعومة بخبرة ثقافية ودينية وأنثروبولوجية غالباً ما تكون متاحة مجاناً على المستوى المحلي.

وأخيراً، رغم أنه لا يزال لوسائل الإعلام الجماهيري استخدامات محددة، فإن الموارد البشرية والمالية الضخمة وغير المتناسبة التي تستهلكها وسائل الإعلامي الجماهيري للإيساف يلزم أن تكون متاحة على المستوى الشعبي. وإذا كنا لنفوز بقلوب الأفغان وعقولهم، يتعين علينا الفوز بها في كل قرية ووادٍ على حدة. فهي لن يتم الفوز بها عن طريق الدعاية التليفزيونية الماهرة التي تروج للكوكا كولا. ولن يتم الفوز بها عن طريق نشر الملايين من جرائد الإيساف سنوياً في حين أن ما يقرب من ثلاثة أرباع الأفغان من الأميين. ولن يتم الفوز بها من خلال شبكة راديو على نطاق الدولة تقدم محتوى متطابقاً، حتى ولو تم استكماله بمحتوى مسجل مُنتج إقليمياً. وكما هو الحال في دولنا، يثق الأفغان ويفضلون بشكل مطلق الإعلام المحلي على إعلام كابول. والأهم من ذلك، أنهم يثقون بما يقوله زعماء القبائل أكثر من ثقتهم بما تقوله كابول أو بروكسل.

وبدلاً من استغلال جميع أعمال المتمردين لإظهار الحقيقة الواضحة للعيان - بأن المتمردين هم أشخاص أشرار - وهو ما يوفر دعاية إضافية لعمل الغرض منه هو التحريض على الخوف وكسب الدعاية في المقام الأول،

يجب علينا توفير استخدامنا للإعلام الجماهيري لقضايا أخرى. إن الأفغان الذين يقرأون الصحف ويشاهدون التليفزيون بانتظام يغلب أن يكونوا صانعي قرارات وأعضاء في مجموعات الأقلية من الصفوة. يجب علينا استغلال الإعلام للتأثير على سياسة الحكومة وفضح الفساد وتشجيع الاستثمار ودعم التعليم وإخطار هذا الجمهور بالأحداث التي تؤثر عليه. يمكننا استغلال الإعلام للتأثير على الرأي وتسهيل الحوار بين الطلاب والصفوة بحثاً عن حلول طويلة الأجل لأعمال الإرهاب تلك التي هي بالفعل موضوع المناقشات العامة الإقليمية أو الوطنية.

يمكننا استغلال فظائع المتمردين لمصلحتنا، ولمصلحة الأفغان الذين يبحثون عن مستقبل آمن. نحن فقط بحاجة إلى القيام بهذا على نحو مختلف. ويجب علينا إبداء تأكيد أقل بشأن الدفع بمزيد من القوات والأموال لحل المشكلة، والنظر في إدخال تغييرات على الاستراتيجية.

وبدلاً من افتراض أن سلوك المتمردين لا يمكن تغييره - أو الأسوأ من ذلك، تقديم دعاية مجانية لسلوكهم وتشجيع تكراره - يجب علينا محاولة إقناع المتمردين بتغيير أساليبهم وتحفيز الرأي العام ضدهم إن هم لم يفعلوا ذلك. المتمردون هم خصوم عقلانيون وقادرون على التكيف يعملون ضد الشعب الأفغاني ويعكفون على صقل وتنقيح أساليبهم طوال سبع سنوات - إن لم يكن أكثر. إن أفغانستان تحترق، والغالبية الساحقة من الأفغان يعرفون من أشعل النيران. وبدلاً من الجدال حول من يجب عليه تشغيل خراطيم إطفاء الحريق، أو إزكاء اللهب بدون قصد، يجب علينا تحفيز وتمكين الأفغان العاديين على المساعدة في إطفاء النيران في أفغانستان قبل أن تهلكنا جميعاً.

الهوامش

1. ظهر هذا الاقتباس للوزير جيتس في بيتر شبيجل، إلى جانب أماكن أخرى، «وزير الدفاع جيتس يرغب في إنفاق المزيد على الدبلوماسية الأمريكية»، لوس أنجلوس تايمز، 16 يوليو 2008.

2. انظر الإحصائيات على <http://www.icasualties.org/oef> ومايكل آر جوردون، "استراتيجية الأفغان تشكل تحدياً قاسياً لأوباما"، نيويورك تايمز، 1 ديسمبر 2008، قسم شؤون آسيا.

3. تسرد دائرة شرطة نيويورك قوة نشطة قوامها ما يزيد عن 37000 ضابط <www.nyc.gov/html/nypd/html/faq/faq_police.shtml#1>، بينما يذكر عدد من المصادر بأن قوة الشرطة الوطنية الأفغانية الحالية تبلغ 79000 مع هدف نهائي بأن تصل إلى 82000 (انظر على سبيل المثال <www.defenselink.mil/news/newsarticle.aspx?id=49967>).

4. مذكور في كتاب السير روبرت تومبسون، «الدفاع عن التمرد الشيوعي: دروس من مالاي وفيتنام (لندن: تشاتو وويدوس، 1966).

5. من الأعمال الأخرى حول هذا الموضوع، تيم فوكسلي، «أنشطة الدعاية لطالبان: ما مدى جودة اتصالات المتمردين الأفغان وما فحواها؟» معهد أبحاث السلام الدولي باستكهولم، ورقة بحثية حول المشروع، يونيو 2007، توماس إتش جونسون، "تمرد طالبان وتحليل الخطابات الليلية"، الحروب الصغيرة والتمرد، 18، رقم 3 (سبتمبر 2007)، 317-44، توماس إلكجير نيسن، "حرب المعلومات لطالبان: تحليل مقارن لعمليات معلومات الناتو وأنشطة المعلومات لطالبان"، كلية الدفاع الملكية الدانماركية، ديسمبر 2007، وتقرير آجيا ريبورت رقم 158، "دعاية طالبان: الفوز بحرب الكلمات؟ مجموعة الأزمات الدولية، 24 يوليو 2008.

6. يمكن للمرء تقديم حجج مشابهة بشأن الرسائل التي قدمتها الحكومة الأفغانية والمجتمع الدولي. ورغم ذلك، فإن رسائل الإيساف والحكومة الأفغانية تحمل مصداقية أكبر بكثير من وجهة نظر المعلومات الأولية. الفساد المتصور والعجز عن الوفاء بالوعود مثل تحسين الوضع الأمني سيواصل تقويض هذه المصداقية.

7. آجيا ريبورت (Asia Report) رقم 158، نفس المصدر:

8. توماس إكس هامس، «المقلاع والحجر: حول الحرب في القرن الواحد والعشرين (أوسيولا، WI: زينيس بريس، 2006)، 2.

9. أجرت بعثة المساعدات التابعة للأمم المتحدة في أفغانستان دراسة لاتجاهات التفجيرات الانتحارية من 2001 إلى 2007 («الهجمات الانتحارية في أفغانستان 2001-2007») والتي يمكن العثور عليها في <http://fetcher.fw-notify.net/0000000234952526336/UNAMA%20-%20SUICIDE%20ATTACKS%20STUDY%20-%20SEPT%209th%202007.pdf> (5 ديسمبر 2008). في عام 2008، استمرت سلسلة من الهجمات واسعة النطاق في رفع أرقام الخسائر.

10. هناك استبيانات ودراسات عديدة تدعم هذا الزعم. من بينها: دراسة Altai Consulting بعنوان "بحث ودراسة على نطاق الدولة حول الجماعات المسلحة غير الشرعية المعارضة للدولة - ISOAGs" (أبريل 2006)؛ ودراسة Environics Research Group بعنوان "دراسة الأفغان في 2007"، واستفتاء Charney Research الذي صدر في نوفمبر 2007 ودراسات عديدة أجرتها Manasia Research Associates..

Exploiting Insurgent Violence in Afghanistan
Lieutenant Colonel Thomas Brouns, U.S. Army
Originally published in the English July-August 2008 Edition.